



## فقد انقطعت أسباب الأرض ولم يبق إلا أسباب السماء

عندئذ ستصرخ نفوسهم المعذبة وقلوبهم الضارعة بعد طول الشدة والمعاناة طالبة إمامًا مهديًا يتبعونه فيصبحون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. إمامًا لا يقودهم بفكره واجتهاده الذي قد يحتمل الصواب والخطأ. إمامًا مؤيدًا بوحي إلهي يلهمه ويهديه السبيل ويسدد خطاه كي ينجي المسلمين من ظلم فرعون وهامان وجنودهما. إمامًا يحمل سلطانًا من الله ووعدها منه بالنصر المبين. إمامًا يجمع المسلمين على الإيمان بالله وبمحمد ﷺ خاتم النبيين، وعلى الإيمان به وبكونه مهديًا من الله لا مجرد زعيم ديني رفعتة الحكومات أو الناس إلى سدة الزعامة. إمامًا اصطفاه الله وعصمه منذ صغره، فسار بعناية الله وهدية على نهج سيده ونبيه محمد المصطفى ﷺ فكان خُلُقُهُ من خُلُقِهِ، ونورُهُ من نورِهِ، وكان ظلًّا له ومظهرًا لصفاته الكريمة. إمامًا اتبع سنة أكمل الخلق ﷺ فوجد بعضًا مما وجد المصطفى ونال بعضًا من هذه البركات. إمامًا اتباعه يُلْزِمُ كل من لاقاه وعرفه فلا يُعرض عنه مؤمن ولا يكون له الخيرة يومئذ في أن يتبعه أو لا يتبعه. إمامًا إذا خرج فلا صوت يرفع فوق صوته، ولا معقب لكلامه، ولا رادًا لما جاء به. فما جاء به يؤخذ وما رده يرد عند كل المؤمنين. إمامًا يعيد تشكيل جماعة المسلمين المؤمنين ولا يأبه بمتاع الدنيا الذي شتت الأئمة وفرّقهم وفرّق متبعيهم. إمامًا همامًا لا يخشى في الله لومة لائم فهو المهدي من الله المؤيد بسلطانه، فلا متاع السلاطين وملكهم بالذي هو عنده مما يُرغب ولا هو من الذين يخشون بأس المتكبرين. فهو الحكم العدل الذي يفصل بين الحق والباطل بكلمة الله وسلطانه وملكوته الذي هو في السماوات وفي الأرض فهو رب

عندما تضطرب الأمور، ويفور التنور، وتطفأ النيران وتقلب القدور. عندما يزداد البلاء وينتشر الوباء ويرفع العلم و يقبض العلماء. عندما تتكالب الأمم على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها. عندما يحلك الليل ويطول وترتعد القلوب وتذهل العقول. عندما يضيع السداد والرشاد ويتيه المسلمون في الوديان بلا راع ولا هاد. في ظل هذه الظروف القاسية والمهموم التي هي كالجبال الراسية، لا بد وأن ترتفع الأنظار والأكف إلى السماء. لا بد لها أن تسأل الملك القدوس نصرًا من عنده وفرجًا قريبًا. لا بد للأعين أن تبكي وتدمع، والأكف بكل الضراعة تُرفع. فقد انقطعت أسباب الأرض ولم يبق إلا أسباب السماء. وليس لنا من دون الله مفرجًا لهذا البلاء. فكيف السبيل إلى الهدى وكيف السبيل إلى الرشاد. هل للخلاص وسيلة تنجي ولو بخرط القتاد.

أليس من الغريب أن يُدعى الموعود بلقب «الإمام المهدي» تمييزًا له عن غيره؟. أليس غريبًا أن يبدو اللقب كأنه إصبع الشاهد الذي يشير إلى الشخص المقصود. إلى ذلك الموعود الذي أهم ما يميزه أنه إمام مهدي وليس كباقي الأئمة الذين لا يدعون الصلة والوحي من الله والهداية. أليس غريبًا أن يأتي اللقب معرفًا بأل التعريف وكأنه يقول أنه لن يكون هنالك غيره يتميز بهذه الميزة. أليس غريبًا أن يعلن النبأ الغيبي أن هذا الإمام سيكون مهديًا بوحي الله الذي يكلفه بالمهمة ويوجهه في خطواته من أحل تجديد الإسلام وإنقاذه؟. أليس غريبًا أن يأتي النبأ بهذا اللقب الذي فيه، بعد الإمعان والتدقيق، سيرة ذاتية للمدعي الصادق الصدوق لمن كان من المتدبرين؟. هكذا هي كلمات الله التامات، وجوامع الكلم التي أوتيتها حبيبنا المصطفى ﷺ والتي تفيض بمعان فيها هدى للمتقين وسلسبيل عذبٌ للصادقين.

فكان اللقب يعبر عن نفسه ويقول إن الزمان في وقت هذا الإمام سيكون زمان اختلاف المسلمين وتعدد الأئمة وزمن الفرقة والتشتت. زمن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون. وكأنه يقول إن المسلمين في هذا الزمان سيتوجهون إلى وجهات مختلفة ويتبعون أئمة كثيرين. ولكنهم سيقودونهم من هزيمة إلى هزيمة ومن ضعف إلى ضعف ومن هوان إلى هوان.

العالمين. ويسكتون عن مفهوم النبوة في الأمة المحمدية ومفهوم خاتم النبيين، فيجعلون الإمام المهدي عليه السلام معادلاً لغيره من الأئمة والمجدين. ويظنون أنهم بذلك يخدمون الإسلام ويساعدون الناس على التصديق بالإمام المهدي. ومنهم من يحاول أن يلتف حول هذه الحقيقة فيوصل الثمرات للناس دون أن يشعرهم بتلك الحقيقة، ويظن بعد ذلك أنهم قد يقبلون بها بعد أن رأوا جمال هذه الثمرات. وإن كان الفريق الأول هو أكبر خطأً من الثاني إلا أن كلا الفريقين مخطئون. وذلك لأنهم يحاولون نزع الصفة الأبرز للإمام المهدي، ألا وهي تميزه عن غيره بالوحي الإلهي، أو التلاعب عليها. وهم لن يحققوا النتيجة المرجوة وقد أثبت التاريخ ذلك للمتدبرين كما حدث مع اللاهوريين. وعلى الذي يسلك هذا المسلك أن يعي أن أكبر ما يمكن أن يجنيه هو أن يستحسن الناس هذه الثمرات ثم ينصرفون إلى ما كانوا عليه وما هم عليه عاكفون من لغو ولهو وفساد. أي أنهم لن يروا هذه الثمرات إلا من باب الترف الفكري الذي يشعرهم أنهم أيضاً على الحق المبين. أما الإيمان بالإمام المهدي وإعطائه حقه ومقامه العظيم الكريم، فسيولد في نفس المؤمن طاقة عظيمة للعمل وإصلاح النفس وسلوك سبيل الهدى والتقوى. وسيجعل المؤمن مطمئناً إلى أنه يتبع رجلاً مهدي الخطوات مؤيدها فلا يخاف أن يقع في صعوبات أو مصاعب نتيجة سوء تقديره أو خطأ جهته كما هو حال الأئمة الآخرين. فلا بد لكل من آمن بالإمام المهدي أن يعلم أنه لا مجال للمداهنة في هذا الأمر. وعليه أن يعلم أنه إن أظهر هذا الأمر بجلاء وأصر عليه إصرار المؤمن المتوكل على الله فإن الله سيفوق خطواته ويحقق أمانه وغاياته. أما إن سلك غير هذا السبيل فإنه سيقع في حبال النفاق الخفية ولن يحصد الحصاد المأمول. وعليه أن يتذكر أن الإمام المهدي قد جاء ليهدي الناس وينقذهم مما هم فيه فعليهم أن يأتوا إليه مستسلمين. فسنة الله في الأنبياء أنهم يأتون على خلاف هوى أقوامهم وإلا فما الحاجة إليهم إذن إن كانوا سيأتون ليقولوا إننا جئنا لنقول لكم إنكم على حق وكل ما تقولون هو صحيح. علينا أن نتذكر أن الإمام المهدي مؤيد من الله مالك الملك، ملك السماوات والأرض، والنصر آت من عند الله ولو بعد حين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كذلك فإن هذا الإمام المهام لا بد وأن ينقي الإسلام من الشوائب كونه مهدياً ومروياً من المصدر الذي نبع منه الإسلام. فهو عند رأس النبع العذبة التي لم تختلط ولم تتلوث بنخب السنين وبعث العابثين. فلا بد له إذن أن يأتي بمعارف هي كاللآلئ والجواهر تسر الناظرين وتبهرهم. فكلامه لا بد وأن يكون مطعماً بشهد العرفان الإلهي. فيبحر في بحر القرآن ويستخرج المعارف الدقيقة التي يستعذبها الناس ويقبلون عليها مسرعين. ويتذوقونها ويتلذذون بها ويشعرون بجلاوة ما ألفوها ومعارف ما عرفوها عند غيره من مشايخهم وأئمتهم الآخرين. ولكن سرعان ما يستنفرون فارين منه بعد أن يعلموا أنه قد ادعى ما لم يدع به غيره من الأئمة، وينسون أن الميزان الذي ينصبونه له لبس بالميزان القويم. فهو ميزان اختل كما اختلت أمور كثيرة فيما بين أيديهم من الدين الذي أخذوه من أئمتهم ومشايخهم الآخرين. فيبتعد عنه من أساء الظن ويقبل عليه من كان من المهتمين. وها قد جاء الإمام المهدي وفقاً للنبا. فكان متميزاً عن غيره بسيرته المطهرة التي ما هي إلا كنفحة من سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله. وقد جاء كما ينبغي له أن يأتي مهدياً من رب العالمين. وأتى بمعارف وجواهر تسر الناظرين. وأنشأ جماعة المسلمين المؤمنين على الإيمان بالله وحده والإيمان بسيد المصطفى صلى الله عليه وآله وكل ما جاء به خاتم النبيين، وعلى التصديق بصدقه هو وبكل ما جاء به مما يدعم الإسلام ويجدد بناءه من ثمرات هدى الله تعالى له التي تنزلت في هذا الوقت ولأجل هذا البلاء المبين. فلا سبيل إلا باتباعه لمن كان في النجاة من الراغبين. وقد فُتن البعض وما زال البعض يفتنون بأمر هو كالماء الغدق الذي هو عذب وكذلك هو فتنة للشاربين. فيرون أن ثمرات الوحي الإلهي اللذيذة التي تنزلت على الإمام المهدي عليه السلام يمكن أن تجتذب العقاقيل من المسلمين وغيرهم. ولكنهم يجدون أن العقبة الكأداء هي في قبول أن الإمام المهدي عليه السلام يتلقى الوحي من الله. ويجدون أن مجرد معرفة السامعين لهذه الحقيقة تنفرهم وتجعلهم يجعلون أصابعهم في آذانهم ويعرضون. لذلك فإنهم إما أن يحاولوا تحريف الكلم عن مواضعه بأن ينفوا النبوة الظلية